السينما فن وصناعة

■ طاهر علوان

يشهد عصرنا ثورة تكنولوجية في وسائل الاتصال، والاهتمام الدائم والمستمر بوسائل الاتصال يبرهن على مدى قدرة هذه الوسائل على النفاذ والتأثير .

وقد حمل التقدم التكنولوجي لوسائل الاتصال شروط قيام ثقافة جديدة، تحمل معها إمكانيات محاصرة الثقافات الوطنية، وهو ما سماه (مكلوهان)بالثقافة الالكترونية الجديدة، التي ساهمت فيما يمكن اعتباره أزمة تحديد الشخصية الوطنية، كما كرس علاقة التبعية للبلدان غير المصنعة للبلدان المتقدمة تكنولوجياً. وأضعف من قدرة الأولى على المحافظة على خصوصيتها وكينونتها.

ولم يعد خافياً ذلك التأثير البالغ على مختلف الشرائح الاجتماعية، وفي مختلف المراحل العُمرية، بالمواد الإعلامية تلفزيونية كانت أو مسموعة، بفعل التقليد أو التقمص أو الاستيعاب في العقل الباطن.

ولهذا التأثير دور في تكوين الذات وتشكيل الشخصية.

ويأتي دور وأهمية وسائل الاتصال من قدرتها المتعاظمة على التأثير على الحياة الاجتماعية، ومن المؤكد أن السينما هي من أهم تلك الوسائل، وتبقى كما كانت دوماً فناً وصناعة، والشكل التعبيري الأكثر حساسية في العالم. وبالفعل فإن لغة السينما وأسلوبها الجذاب جعلها أكثر انتشاراً وتأثيراً وفاعلية.

إن إرساء صناعة سينمائية مرتبطة بواقعنا، وتعكس همومنا وأحلامنا، وتُكوّن رافداً ثقافياً حقيقياً نابعاً من تربة هذا الوطن المبارك وثمرة من ثماره، ستكون وفاء لهذا الأصل الذي نمت منه، وللمبادئ والقيم التي أوحت لهذا الغرس أن يرى النور.

إن وجود سينما يمنية كمرآة لواقع مجتمعنا، وعاكسة لهمومنا وأحلامنا أمر ضروري لتأكيد الهوية الثقافية لبلدنا. فمن الضروري أن تندرج السينما ضمن السياسات الثقافية، والبرامج الاقتصادية التنموية على المستوى الوطني .

إن بلداً كاليمن له من العمق الحضاري والتاريخي ماله، جدير بأن تقوم فيه صناعة سينمائية، خاصة بعد أن أصبحت بلادنا ملتقى لمختلف الاتجاهات والسياسات الثقافية والاقتصادية، ونحن لسنا ضد الانفتاح على الثقافات الأخرى، ولكن الانفتاح له شروط، أقلها أن تكون لنا مؤسسات ثقافية مستقلة.

إن انفتاح العالم التابع على هذه الوسائط، تجعل المجتمعات عُرضة لعدوان دائم على ثقافتها ومعتقداتها وأفكارها، كما أن هذه السمة الثقافية لا تسمح بأن تبني في الذات ثقافة متماسكة. ويبدو أن غزو الأفلام ذات الخلفية الهدامة، والتي لا تقف عند تشويه الثقافة الوطنية واستهجانها، بل وتروج لحياة مجتمعها بنمطها الاستهلاكي الذي يصل إلى درجة النهم الاستهلاكي، هي مصدر الخطر الأكبر على الثقافة المحلية المهددة بالاندثار.

ويعرف الاقتصاديون خطر انتشار نمط الحياة الاستهلاكية على التنمية، لا من حيث الإنفاق الاستهلاكي فحسب، بل من حيث خلق صعوبات أمام أولويات التطور الاقتصادي في البلاد، حيث يُضطر إلى استيراد ما لا يلزم استيراده، وتضييع ما لا ضرورة لتضييعه. إن هذا الاستلاب الاجتماعي وهذا الإثراء على حساب قيمنا الوطنية وعاداتنا وتقاليدنا، سببها ذلك التهافت على تلك الأفلام ذات الصبغة الاستهلاكية، والتي لا تهدف إلى تغيير نمط حياتنا نحو الأفضل بقدر ما تهدف إلى ربطنا بأسواقها، وإغراق أسواقنا بمنتوجاتها الاستهلاكية، وجعلنا نلهث خلف الوهم بكل ما أوتينا من ضعف اقتصادي وكساح اجتماعي. ومن ضمن الأسباب الرئيسية والتي تعتبر من سلبيتنا القاتلة، ذلك التهاون بقدراتنا ومواهبنا الوطنية والتي لا زالت حتى اللحظة تعاني من ذلك التجاهل المميت، والإحباط المدمر، ولم تتح لها فرص العمل والإبداع، وممارسة حقها الإنساني في الابتكار والخلق الفني.

ولكي نتمكن من مواكبة العصر وننطلق من دائرة التقوقع على الذات، لا بد أن نضع أمام عيوننا هدفاً كبيراً واحداً، وهو أن نتلمس طريق الارتقاء الفني، وأن نبعث في أنفسنا رغبة التعلم، وحافز التحدي، ولن يكون ذلك إلا إذا عرفنا الفرق بين الأصالة والزيف، والحيوي من الساكن، وبما يعمق الاعتزاز بالشخصية الوطنية في مواجهة كل ما يهزها ويحطمها ويُحيلها ركاماً.

انطباعات من مؤتمر توثيق معلومات البشرية

■ هشام ورو

المدينة المنورة هكذا كان العنوان البارز لمؤتمر الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات الرابع والعشرين منذ إعلان مقر انعقاده في الخرطوم 2011م , ومنذ ذلك الحين وقلوب المشاركين تتسابق للمثول بين روضة من رياض الجنة جوار قبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم , فالمكان يمثل حالة استثنائية لكل المسلمين ويتوق كل موحد من أقاصي الدنيا شرقها وغربها للوصول إليه , كان اقتراحاً موفقاً حينذاك من قبل رئيس الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات الدكتور حسن السريحي والذي قرنها بمناسبة إعلان المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2013م .لم يكن أمامي أو أمام أي شخص إلا أن يشد الرحال فهذه دعوة ربانية لزيارة بيته الحرام والمسجد النبوي الشريف , فتسارعت خطى الوافدين ليحطوا بين يدي الحبيب المصطفى ويغسلوا أوجاع الدنيا ومتاعب الحياة ويعلنوا تطهير قلوبهم وتسامحهم في روضته الشريفة وجوار بيته الحرام , ناهيك أن مؤتمر الاتحاد كان له خصوصية متميزة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثلت تلك الخصوصية في الجو الروحاني الذي عايشه أعضاء الاتحاد طوال الرحلة ونجاح انعقاد المؤتمر بجلساته العلمية التي مثلت قيمة علمية كبيرة من بروفسورات وباحثين من المتخصصين والمهنيين في مجال المكتبات والمعلومات .

التقى المكتبيون خلال هذه الرحلة في أكثر من قاعة طيبة بفندق الميريديان وقاعة البدر إضافة إلى قاعتين تعدان أكبر وأقدس قاعات المعمورة المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام الكعبة المشرفة ففي المسجد النبوي كنت ألمح زملاء مشاركين يكتنزون زوايا المسجد متضرعين إلى الله تعالى فنسلم على بعض ونحمد الله أن جمعنا في هذا المكان وفي ساحة الحرم المكي التقيت بأصدقاء من الاتحاد ونحن نطوف حول الكعبة المشرفة فكنا نسترق النظر منشغلين بمناجاة الواحد القهار وبين الصفا والمروة كنا نهرول جميعاً مناجين رب العزة أن يعيدنا إلى هذا المكان .كانت روعة الجلسة الافتتاحية بتقديم الأستاذ الدكتور هشام عزمي الذي خص تقديم هذا المؤتمر بروحانية تناسبت مع المكان وقربه من سيد الأولين والآخرين فشدتني حروفه المليئة بالإيمان الداعية إلى التخلص من أوجاع الحياة الدنيا وانشغالاتها وكانت تلك التلاوة القرآنية من أحد شباب مدينة رسول الله تبعث في نفوسنا شعوراً يوحي بعظمة المكان وقدسية القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) كانت دموع الدكتور حسن السريحي في بداية كلمته وعجزه عن المواصلة لمشاعر الحب الوفاء للماثل أمامها أم حسن التي اعترف لها بالفضل أمام هذا التجمع العربي الكبير وشعر بالارتباك أمام من تستحق هذه الدموع وتلك الهيبة , إلى أن وصلنا إلى نهاية تلك الجلسة المفعمة بالعلم والمشاعر في آن واحد .لفت انتباهي عبارة أطلقها مدير جامعة طيبة سعادة الدكتور عدنان المزروعي عندما خاطبنا قائلاً أتمنى أن تخرج توصيات المؤتمر إلى الواقع العملي بما يخدم المهنة والمكتبات , وهذا ما نؤمله فعلاً من القيادة الجديدة للاتحاد .كان حديثي المقتضب بالشاعر العربي الكبير عبدالعزيز البابطين رئيس مكتبة الشعر العربي بالكويت أثناء تكريمه بالمؤتمر بمثابة ذكرى طيبة أعتز بها كان يحدثتني عن حفل تكريمه في جامعة صنعاء من قبل الدكتور عبدالعزيز المقالح وانتهى حديثه وهو يوحي أنه من أصل يمني .لقد توفقت إدارة المؤتمر بترتيب زيارة رائعة لمسجد قبا ومسجد القبلتين وجبل أحد والأماكن المقدسة فكان تجمعاً رائعاً للمكتبيين العرب وهم يوثقون أهم المعلومات في تاريخ البشرية جمعا معلومات بداية التكوين للرسالة المحمدية والدين الواحد الذي بفضله اجتمع كل هؤلاء . في الجلسة الختامية كان هناك حدثين رائعين الأول هو تكريم شباب أعلم الجديد من أعضاء الاتحاد منسقي الدول العربية وكان لي الشرف بأن أتسلم درع التكريم من الأستاذ الدكتور ربحي عليان حين طلب الدكتور حسن السريحي رئيس الاتحاد الطلوع إلى المنصة كان هذا التكريم حافزاً ولكثير من الشباب في الاتحاد وللمنسقين في الدول العربية كي ننهض بأدوارنا ونساهم في تطوير أداء الاتحاد وتوسيع قاعدة العضوية كي يستفيد أكبر عدد ممكن من معلومات ومهارات الاتحاد الحدث الآخر هو انتخابات المكتب التنفيذي التي جرت وفق رقي تام وشفافية مطلقة يفتقدها الكثير من دول العالم الثالث في مثل هذه الأحداث فكان فوز الدكتور خالد الحلبي رئيسا للاتحاد والدكتور عمر جرادات نائباً لرئيس الاتحاد ونخبة من قيادات أعلم لعضوية المكتب التنفيذي . كان الدكتور السريحي ينادي بأسماء المنسقين والمكرمين ارتجالاً وهذا يحسب له انه يحفظ في ضميره كل الأسماء بل وكل ما أوكل إليه وبكل تواضع يقرأ التقرير المالي والختامي الذي برهنت فيه قيادة الاتحاد للفترة الماضية النجاح بشهادة كل الأعضاء وبشهادة الإصدارات التي أثقلنا حملها وهي كانت نقطة ضوء مهمة في تاريخ الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات . أنا على ثقة أن القيادة الجديدة للاتحاد برئاسة الدكتور خالد الحلبي ستعمل على استكمال النهوض بالاتحاد وفق برامج وخطط تخدم المكتبيين في العالم العربي وقد خبرته في المؤتمر الدولي للمكتبات بالدوحة وهذا كان عاملاً مهماً لسعادتي بترشحه لقيادة المرحلة الجديدة للاتحاد .

ابعث كلمة شكر وعرفان للدكتور حسن السريحي الذي شجع الشباب كثيراً للمشاركة في مؤتمرات الاتحاد واعتزازه بجيل أعلم الجديد وكان اعتزازي أكثر بكلماته وهو يقول (أعتز بكم كثيرا واحمد الله أننا استطعنا إعادة تفعيل دور اليمن في الاتحاد من خلالكم).وهي مناسبة أن أقول إن كان هناك من نقص بالنسبة لي في المؤتمر فهو عدم لقائي بالرجل الذي اشعر بمحبته وتواصله الدائم الدكتور جاسم جرجيس الذي تغيب عن الاجتماع لأسباب خارجه عن إرادته وإرادة الاتحاد .كما هي لصديق طفولتي العزيز إبراهيم القرش المقيم بالمدينة المنورة الذي أبى إلا أن أقيم في بيته طوال فترة إقامتي بالمدينة المنورة أنا وأستاذي الدكتور خالد عتيق المشارك بالمؤتمر والذي كان يمطرنا بخفة ظله وروحه العامرة بالبسمة والنقاء ,وهي لكل من شجعني ووقف بجانبي في طريق عملي المهني والعلمي 4-12-2013م.

إصدارات

حقيقة وسائل الإعلام الجماهيرية

هناك فكرة سائدة، مفادها ان "ما نعرفه عن العالم الذي نعيش فيه، إنما نستقي معرفته من ما تقدمه لنا وسائل الإعلام". إن وسائل الإعلام هذه تصوغ الواقع بمقدار ما تقوم بتوصيفه كما تراه. ويقدم عالم الاجتماع الألماني، نيكلاس لوهمان، في كتابه الذي يحمل عنوان حقيقة وسائل الإعلام الجماهيرية، تحليلا دقيقا لأنماط عمل منظومتها وآليات اختيارها، ولجوئها إلى التبسيط. ومن خلال هذا كله، يحاول صوغ مجموعة من الأفكار عن الطريقة التي يرى معها العالم نفسه.

هذه هي المرّة الأولى التي ينشر فيها هذا الكتاب، باللغة الفرنسية. ويشرح مؤلفه، أن صلاحية نظرياته حول وسائل الإعلام ومنظوماتها، تتطلب أن تكون مقبولة أيضا، على مجمل الجسد الاجتماعي، وبالتالي ينبغي أن تكون قادرة على تفسير حقيقة أية منظومة اجتماعية.

وما ينطبق على الاقتصاد والقانون والتربية والعلم والسياسة، ينبغي أن يجد صداه لدى وسائل الإعلام. ومن خلال اهتمام المؤلف في هذا الكتاب بها يريد تطبيق الجوانب الأساسية في نظريته العامة حول المنظومات الاجتماعية عليها.

لا يقتصر المؤلف في الواقع، على تحليل حقيقة وسائل الإعلام الجماهيرية، بل يتعرّض بالتحليل أيضا، إلى الطريقة التي تصوغ بها "الحقيقة"، وأيضا: "كيف تبني الحقيقة". الخطوة الأولى التي ينجزها في الخصوص، تعريف ماهية وسائل الإعلام، باعتبارها منظومة اجتماعية. ومن ثم تحديد الوظيفة الاجتماعية لهذه الوسائل. إذ يفسرها على اساس انها نوع من "بناء حقيقة ثانية، ووهم الحقيقة"، ليكون ذلك موجّها إلى الذهنية السائدة لدى أولئك الذين سيستقبلونها.

لكن "عن أي عالم يجري الحديث"؟ كما يتساءل المؤلف، ويجيب موضحا ان ما نعرفه عن مجتمعنا، وعن العالم الذي نعيش فيه، إنما هو محكوم بما تقدمه وسائل الإعلام الجماهيرية. وينظر الى وسائل الإعلام هذه، على أنها "منظومة اجتماعية". إذ يقدّم انطلاقا من هذا، تحليلا لآليات العمل التي تحكم هذه المنظومة، مؤكدا أنها لعبت دورا مركزيا في تقديم العالم الحديث المتعبّد، لأولئك الذين تتوجّه اليهم. فصاغت "الواقع" تبعا للإيديولوجيات والمصالح التي تحكمها.

ويرفض لوهمان، الفكرة القائلة ان "افتراض عدم وجود وسائل الإعلام الجماهيرية، قد يؤدي بالضرورة إلى "إمكانية التعرّف على حقيقة الواقع بصورة مباشرة" و"بدون أي عملية بناء اصطناعية". بالمقابل يرى أن توجيه النقد أو الاتهام لوسائل الإعلام يتطلب شرطا مسبقا هو "فهم الكيفية التي تبني فيها الواقع بصورة عامة".

يعرّف المؤلف وسائل الإعلام الجماهيرية، على أنها وسائل اجتماعية تستخدم أدوات تقنية متنوعة، من أجل نشر توزيع ما يراد نشره من معلومات ترمي إلى التواصل مع الجمهور الموجهة له.

وفي المحصلة العامة، يرى عالم الاجتماع مؤلف هذا الكتاب- أن المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام الجماهيرية ذات الانتشار الكبير بطبيعتها، إنما تخضع من حيث إنتاجها لمجموعة من القواعد المحددة، وتتبع إلى حد كبير، طريقة بنائها من قبل أولئك الذين حرروها أو صوّروها تبعا للكيفية التي رأوا فيها الحقيقة والواقع، أو للكيفية التي أرادوا حسبها صياغة تلك الحقيقة وذلك الواقع.

الكتاب: حقيقة وسائل الإعلام الجماهيرية- تأليف: نيكلاس لوهمان- الناشر: ديافان- باريس- 2013

- الصفحات: 200 صفحة- القطع: متوسط.

في هيئة عصفور

■ بشير المصقري

كعصفورٍ يدرس في غيمة
ويقضي عطلته الأسبوعية في
الشفق المجاور
يغسل أجنحته كل صباح في
شلالات الريح
ولا يفكر في الوقوف على شجرةٍ
عارية

كعصفورٍ لا ينسى أن يشكر الغربان
لبشاعة النعيق
وينمق الجو بعناقيد من زقزقته
الشجية
يكنس بتغريده اليومي
أنكر الأصوات من سحنة الأفق
ثم يتمنى أن تستمع البومات
لنشرة أحوال الطقس في المساء

كعصفورٍ يقدم للخفافيش رؤيةً
جديدة
تُعلمها كيفية الاهتداء إلى حداثةٍ
تمكنها من التجريب
و تبديل الصوت الخفي
بإصدار إشارات ترشد فطرتها
البكماء
إلى تحاشي الاصطدام بالأجسام
المباغتة

كعصفورٍ يعي أن الفرق بين الأجنحة
والزعانفً
هو ذات الفرق بين مروحة الطائرة
ومجداف القارب
وأن تياري الهواء والماء
أجدى بكثير من التيار الكهربائي
ومشتقات النفط

كعصفورٍ يتفاوض دائماً مع الفلاحين
للحصولً على قليلٍ من الدُخن
كي يُثبت للنسر أن الرزق بالفعل لا
يأتي بقوة

كعصفورٍ اكتشف أن رسائل الـsms
تزعج الأنواء وتشوش ذاكرة الأجنحة

كعصفورٍ لا يمتعض أن أنكرته الأعواد
و القياثير
وهي التي كانت سيقاناً ينام عليها
ولا يمتعض لخيانة الأغصان التي
كان يحط فيها
ويلف أصابعه حولها
قبل أن تغدو أقفاصاً
لا تعرف أيضاً أن أصابع رياض
السنباطي
وبليغ حمدي واحمد قاسم وحارث
الشمسي
كانت أفكاراً في فمه
كعصفورٍ تمكن من إقناع رصاصة
صياد
أن التوجه إلى صدر فزاعة في حقل
ما
قد تمنحها نوبل للسلام

كعصفورٍ مازال يبحثُ عن لبنه
الذي يعد به العاشق حبيبته
مع أن لا لبن للعصافير ولا هم
يفرحون

وكعصفورٍ يقول للسماء :
في أحرقُكً سمٌ وماء
لكنني أطردُ السم بهفهفتي
فيما يسقط الماء فينبتُ العشب
الذي شيدت منه عشي الصغير
ولذِكر العُش
يتذكر بمرارة
أن الأفق جحيم دون عصفورة
والعش عراء أن لم يكن وراء كل طائرٍ
يهيم
أ
ن
ث
ى

ذمار
يناير 2012م